على هامش كتاب :

في الأدب الصهيوني

بقلم الدكتور ناصر الحاني

ليس بين ما نعرف من أداب الامم في عصرنا هذا او عبر العصور ما يسمى ادبا صهيونيا ، فلقد ظهر لليهود أدب معظمه باللغة العبرية واقدمه « العهد القديم » ، ومر بمراحل لعل أهمها الفترة التلمودية التي امتدت اكثر من اربعة قرون جمعت خلالها الكتب الدينية التي سميت بالتلمود ووضعت لها شروح وتفاسير كثيرة عرفت بالتزجوم .

وكان اليهود منذ انتشارهم في الاقاليم يعنون بلغات الاقوام الذين يعيشون بينهم ويتخذونها وساطة تعبيرهم، فظهر النتاج اليهودي في العصور القديمة باليونانية والارامية كما ظهر في العصور الوسطى بالعربية واللاتينية، وفي العصور الاخيرة بكثير من اللغات الاوروبية .

ويجدر بنا ان نتذكر ان اللغة العبرية لم تكن لغة قومية في عصر من العصور بل ظلت لغة الكتاب المقدس والشعر الديني ، كما كانت لغة الصلاة . ولم يتهيأ لها ان تعنى بالوان الادب المعروفة او تكون وساطة لتلك الالوان ، في اي زمان او مكان طوال التاريخ العبري ، وان يهود شرقي اوروبا ووسطها قد عرفوا لغة سموها « بيدش » وهي المانية في اصولها وتضم شيئا من العبرية وبعض اللغات السلافية ، وبدأت نموها خلال القرنين العاشر والحادي عشر ، ولكن صورها الادبية ظلت قاصرة ، واعتبرت لغة وضيعة لم تعرف لها مكانة أدبية حتى اليوم. ولقد بدأت المحاولات الاولى تطوير اللغة العبرية « ذلك الخيط الواهي الوحيد الذي يربط بين اليهود في توزعهم على ارض العالم » كما ذهب الاستاذ كنفاني ، في فترة لا تتعدى قرنا .

ولا نريد ان نشدد على عام بعينه لبدء هذه الظاهرة ، ولكننا نريد ان نتذكر ان تلك المحاولة تعتبر بداية مرحلة من اخطر ما عرف اليهود عبر العصور . فلقد تهيأ لهم بعد دأب لم يعرف هوادة ان يتحللوا من فكرة الاندماج التي تظاهروا انها كانت شعارهم قرونا ، وتطلعوا الى دعوة « اشر غنزبرغ » التي حملت شعار « اخر يهودي واول عبري » ، وانطوى هذا الشعار على تمسك ذكي باللغة العبرية التي اراد لها هذا الرائد الصهيوني ان ترتفع من العناية بالطقوس الدينية لتكون لغة قوية انتهى بها المطاف ان تستقر بعد ثمانية عشر قرنا في فلسطين وان تكون رباطا يشد اخلاط اليهود الذين أموها من انحاء مختلفة في هذا العالم . ولكن هذه اللغة لم يتهيأ لها حتى اليوم نتاج ادبي نعرف له ابعادا او صورا او اطارا يخولها ان تدخل في حظيرة الاداب المعروفة ، بالرغم من محاولات الصهاينة . ولذلك كان على الذين يريدون ان يتابعوا الصهيونية وتسخيرها الادب وصوره لاغراضها ان يتطلعوا الى لغات اخرى . واحسبنا في غنى عن الاسهاب لندلل على ان اصطلاح « الادب الصهيوني » قد استعمل بكثير من التوسع الذي جاز المألوف .

لقد اخبرنا الاستاذ كنفاني (١) انه سيستخدم (تعبير الادب الصهيوني في هذه الدراسة للادب الذي كتب ليخدم حركة استعمار اليهود لفلسطين سواء اكتبه يهود ام كتاب يعطفون ـ لسبب او لآخر ـ على الصهيونية ويخدمونها مباشرة او غير مباشرة . وهذا يعني بالطبيعة ان الادب الصهيوني ـ كما سنستخدم هذا التعبير ـ يشمل الادب الذي كتب بلغات غير عبرية ومن قبل كتاب غير يهود طالما انه ينضوي تحت راية الصهيونية السياسية ويخدم مخططاتها) . اننا نخالف التسمية ولا نميل اليها بالرغم من هذا الموضوع الشامل الذي انتظم سبيل المؤلف ، ومرد هذا الذي نخالفه عليه سببان اولهما جعل الصهيونية ركيزة ادب شأن المفاهيم الاخرى .

صحيح ان الآداب الغربية عرفت بين صورها نتاجا عني بالشيوعية او الاشتراكية مثلا وتأثر بهما ودافع عنهما وخلق ابطالا تبنوهما وظلت عماد فلسفتهم ، ولكننا لا نفرد لهذا بابا بين ابواب الادب الغربي لنسميه الادب الشيوعي او الادب الاشتراكي ، وذلك بالرغم مما للشيوعية ـ شأن الاشتراكية ـ من اصول وركائز بناءة تستحق هذا ؟ فقد ظل النقاد يفردون للادب الذي عاش في كنف المبادىء الشيوعية او كان وليدها ابوابا تتحدث عن الادب المتأثر بالشيوعية لا الادب الشيوعي .

ان الصهيونية باعتبارها حركة قومية يهودية توسعية لها شأن لا يختلف عن الفاشية مثلا ، ولا تستحق ان تضفى اليها نسبة الادب . وهنا النواحي التي استطاع الاستاذ كنفاني ان يؤلفها ويبرزها في نتاج بعض الصهاينة الغربيين لا تستحق ان توصف باكثر من انها « متصهينة» .

واما السبب الثاني فيكمن في المدار الذي التزمه المؤلف ، فقد عمد الى النتاج الادبي المتصهين في طرفي المحيط الاطلسي ـ الولايات المتحدة وانكلترة ـ وتدارسه

وتقصى بصدق وتمحيص نخبة من ابرز رجاله . ولكن هذا قد يوحي بان الادب المتصهين وقف عليهم دون سواهم ، وليس من شك في ان ادبا اوروبية اخرى كبيرة كالايطالية والفرنسية والالمانية على سبيل المثال لا الحصر ـ تحفل بما لا يقل عن الادب الانكليزي او الاميركي صهيونية في نوعه وكمه .

ومهما يكن من شيء ، فان هذه الجوانب لا تجور على محتوى كتاب الاستاذ كنفاني الذي استطاع ان يؤلف بين خيوط متناثرة لم يتهيأ لها من قبل ان تضم الى بعضها ، وينتقص جوانب هامة عملت على تشبث الصهيونية المتصل بالادب ونفوذها اليه بكل ما أوتيت من وسائل حتى تهيأ لها ان تحتل مكانة هامة .

ونريد ان نشدد على بعض الحقائق الثابتة في تاريخ اليهود الطويل اينما كانوا لنتابع الهيكل الذي انتظم كتاب الاستاذ كنفاني .

لعل من ابرز تلك الحقائق شخصية اليهودي نفسه التي تبلورت ـ كما يبدو ـ لتكون ذات صفات منسجمة معلومة وتتذرع ـ اينما كانت ـ بسبل سلبية تتجانف عن الامتزاج والاندماج مع الشعوب التي تضمها ، وتحرص على تقاليدها وتتمسك بأساطيرها وتعيش في كنفها وتبعث فيها الحياة والبهاء لتظل غنية كفيلة بأن تؤدي ما تستطيع الى هذا الدور السلبي الذي يحياه اليهودي . ولعل أسطورة (اليهودي التائه) من ابرز ما نعرف في هذا المجال ، وهذا ما دفع الاستاذ كنفاني أن يفردها بفصل خاص بها نعتقد بأنه استطاع ان يتابع هذه الشخصية الاسطورية عبر العصور في غاية اللياقة ويحدد ابعادها ومراميها في ظل الشخصية اليهودية وتقلبها وآمالها في الصعيد الاجتماعي والسياسي ، كما استطاع ان يستوعب كثيرا من الصور التي عرفت بها شخصية اليهودي التائه عبر العصور وظلت ـ كما ارادها اليهود ـ (رمزا كئيبا لقوم فقدوا وطنهم في العام الواحد والسبعين من الميلاد ، وظلوا تائهين ثمانيةعشر قرنا في انحاء اربع قارات) (٢) . ولا نحدد بأن هذه الاسطورة كانت في كثير من فترات التاريخ اليهودي الخيط الوحيد الذي يتمسكون به ولا سيما تلك الفترات التي تعرضوا بها للاضطهاد في اوروبا . فلقد كانوا يرون ان ما يحيق بهم ضرب من القضاء والقدر ويتطلعون الى نهاية تباعد عنهم الشرور والنحس . ونحن نعتقد بأن الاسطورة تستحق ان تنفرد بدراسة شاملة تستوعب المرامي البعيدة لآمال اليهود وتطورها عبر العصور واثرها في الآداب الغربية وفي موقف الشعوب الاوروبية خاصة من اليهود . والحقيقة الثانية التي عرض لها الاستاذ كنفاني عرضا عاما مبثوثا في ثنايا كتابه هي تلك الصورة التي نراها تتكرر في عصور مختلفة وتتتابع بين أمم كثيرة حاولت ان تعايش اليهود ولكنهم أبوا ان يتمسكوا بولاء او يخلصوا بنسب ، وكان هذا سببا جر عليهم محنا قاسية في اوروبا كلها فنبذوا واحتقروا وتعرضوا لنفي متصل لان كل امة عرفتهم ادركت فيهم العقوق والجشع والانانية .

ولعل من اعجب ما تطالعنا به كتب التاريخ ان اخلاق اليهود هذه تؤجج عليهم بغضاء الشعوب ، ويثير نار هذا التأجج سبب يؤول الى اضطهادهم في احيان كثيرة وهو قتلهم للاطفال وشرب دمائهم .

فمن الحقائق المعروفة ان اليهود قد استطاعوا ان ينعموا بحياة راضية في ايطالية ، ولكنهم عرضوا انفسهم لخطر محيق عام ١٤٧٥ لان فئة منهم قتلت طفلا صغيرا وشربت دمه .

وكان لليهود في بولندة قبل ذلك بأكثر من نصف قرن احداث مماثلة عندما شهد أحد القسسة ان يهوديا قتل طفلا مسيحيا وشرب دمه (٣) . ولقد وجدنا المصلح الديني الشهير (مارتن لوثر) يهاجم اليهود هجوما عنيفا ويشدد على قتلهم الاطفال في رسالته (حول اليهود وكذبهم) فيقول : « ان التلمود يقر بالكذب والسرقة وقتل المسيحيين ، وان اليهود يسممون الينابيع والآبار وانهم يقتلون الاطفال المسيحيين ليستعملوا دماءهم في الاعياد اليهودية » (٤) .

والحقيقة الاخرى التي تستحق ان نتذكرها هي ان الآداب الاوروبية قد عرفت صورة لليهودي لعل ابرع مثال لها (باربالي) في رواية (اليهودي المالطي) لمارلو

ـ التتمة على الصفحة ٧٥ ـ

صدر حديثا

حكايا لليحزن

مجموعة قصص

بقلم

اديب نحوي

الكتاب القصصي الثالث ، بعد « حتى يبقى العشب اخضر » و « جومبي » ، لقصاص اصيل هو نسيج وحده في كتاب القصة العربية المعاصرة ، بفنه الحي ونزعته الانسانية وروحه الالتزامية الصادقة

منشورات دار الاداب ٢٥٠ ق.ل

في الادب الصهيوني

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٨ ـ

و (شايلوك) في رواية (تاجر البندقية) لشكسبير ، وهذا المثال يحمل كل ما ورثته العصور عن جشع اليهود وطمعهم ومكرهم واستخذائهم ، وقد لعبت طلائع الصهيونية ودعاة عدم الاندماج دورا كبيرا في محاولة بطيئة ، لكنها بارعة ، لتغيير هذه الصور كلها لتحل محلها صورة اليهودي فيها استعلاء وتفوق وعصمة ، وأضيفت عليها كثير من مظاهر البطولة والرجولة . وقد خص الاستاذ كنفاني نهج زعماء الصهاينة والمتصهينين ـ من غيرهم ـ الذين عملوا على خلق هذه الصورة بفصلين شاملين فيهما عمق وتحليل صادق هما : (الادب الصهيوني يضبط خطواته مع السياسة) و (العصمة اليهودية امام عدم جدارة الشعوب الاخرى) .

وليس من شك بأن الاستاذ كنفاني قد استطاع ان يمضي بتحليل أخطر القصص التي يعتبرها الصهاينة تلمودهم الجديد ومستودع فلسفتهم ومناهجهم العلمية وفي رأسها كتابان عمد الى الحديث عنهما باسهاب هما (الخروج) للكاتب الصهيوني (ليون أوريس) و (المصدر) للكاتب الصهيوني جيمس .

لا غرو بأن رواية (الخروج) خاصة كان لها اثر كبير في الولايات المتحدة ، وهي تمثل اعنف ما استطاعت الصهيونية العالمية ان تجنده لتشويه حقيقة العقل العربي والكرامة العربية وتؤدي الدور الذي يؤول الى ما يسمى (غسل الادمغة) بحيث تحذف كل ما هو عالق بها من صور اليهودي عبر القرون لترسم صورة مغايرة مشينة يكون بطلها ساميا آخر هو العربي . ولا نعرف قصة تهيأ لها شيوع في الادب الحديث كله كهذه القصة الظالمة .

ولقد كنت أحسب ان العرب سيدركون خطورتها واثرها في تضليل العالم وفي طمس الحقائق الثابتة عنهم وسيحاولون ان يطلعوا بقصة مماثلة . واذكر ان بعض المفكرين بالبلاد العربية حثوا على شيء من هذا ولكننا لم نعرف لتناديهم صدى ، ويجدر بي أن أذكر باكبار المحاولة التي قامت بها الكاتبة البريطانية (أثل مانن) بقصتها (الطريق الى بئر السبع) (٥) ، فلقد ارادت لها ان تكون قصة الخروج العربية رانتظمها أطار فريد حقا ولكنها لم تلق الرواج الذي كنا نصبو اليه لان الصهاينة تصدوا لها وقل ان عنيت بها المكتبات .

وأريد ان اوسع الدائرة التي وقف عندها الاستاذ كنفاني وقفات ناجحة وهو يعرض الاسلوب الذي عمد اليه الصهاينة لتشويه الصورة العربية وتجريد العربي من كل الفضائل ، سواء أولئك الكتاب الصهاينة الذين عاشوا في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ أو بعدها لاذكر ان الصهاينة قد نهجوا في الميادين الفكرية الاخرى نهجا مماثلا وتعقبوا خطة أحكمت أصولها ومقوماتها لمحاربة العرب في الغرب وفي الولايات المتحدة خاصة ، فاستطاعوا السيطرة على كثير من المعاهد العلمية التي تعنى باللغات السامية والآداب الشرقية ، وحاولوا أن يتسللوا الى دوائرها المختلفة كما استطاعوا أن يتسللوا الى أمهات المجلات التي تعنى بالدراسات الشرقية ويبثوا فيها ما يشوه كثيرا من الحقائق الثابتة عن العرب . ولعل من ابرز ما ظهر في هذا المجال كتابان عني اولهما بالقومية العربية وصيرها شوهاء نكراء اعتدائية بربرية الفته كاتبة يهودية صهيونية هي (سلفيا حييم) وروج له الصهاينة كثيرا ، والآخر كتاب يهودي صهيوني يعلم في مدرسة الاقتصاد الشهيرة بجامعة لندن هو (الياهو خضوري) وقد شوه رسالة ابرز مجتهدين اسلاميين محدثين هما (محمد عبده) و (جمال الدين الافغاني) ووقف كتابه كله ليدلل على ان حقيقة رسالتهما تعتمد على الغش والنفاق والرياء ، ولا نعرف في تاريخ التنكر للعرب بالغرب شيئا يضارع هذا الذي يحاول الصهاينة اختلاقه منذ حملات (رينان) الشهيرة .

ومن يتابع النتاج العام الذي يعنى بالشرق الاوسط ، لا يستطيع الا ان يعجب من هذا السيل الذي لا ينقطع من الكتب والكتيبات والنشرات ، وهو في غالبه ضحل غث ولكنه مقصود أيضا ، ويعنى جله بجانب او باخر من جوانب الحياة العربية ليمعن بها تشويها وتعكيرا ، فصارت صورة العرب السائدة في الاوساط الاميركية لا تختلف كثيرا عن تلك الصورة التي انتزعها الاستاذ كنفاني من رواية (الخروج) او (لصوص في الليل) . وصرنا نراهم يتفننون بأساليب التشويه لتظل الصور ماثلة في النفوس والاذهان . وحسبي ان اشير الى هذا الفيض الذي ملأ المكتبات في اوروبا والولايات المتحدة منذ حزيران .

فلقد ظهرت بعد شهر واحد من الاعتداء الصهيوني الغادر على البلاد العربية جملة كتب تمثل حلقة واحدة بين الوسائل الكثيرة التي لاذ بها الصهاينة لتبرير عدوانهم وتصييره نتيجة طبيعية للسياسة العربية . وكان من بين مؤلفي هذه الكتب كتاب مأجورون معروفون مثل صاحب كتاب (قضية لاسرائيل) فرانك جرفازي ، وبينهم متصهينون امثال راندولف تشرشل وروبرت ونوان .

ويجدر ان نتذكر ان الادب قد عرف نصيبه الوافر في هذا الميدان ايضا ، فظهرت قصة الحياة الاسرائيلية في كتاب (اسرائيل : أعجوبة في الصحراء) لكاتب صهيوني ، وطلعت (يائيل دايان) ابنة موشى دايان في رواية جديدة اقتفت فيها النهج المعلوم والركيزة التي وصفها الاستاذ كنفاني لجل النتاج الصهيوني ، وعنوان هذه الرواية (للموت ولدان) .

دار الآداب تقدم

ديوانين كبيرين لشاعرين كبيرين

المسرح والمرايا

للشاعر ادونيس

الثمن ٦٠٠ ق.ل — صدر حديثا

الموت في الحياة

للشاعر
عبد الوهاب البياتي

الثمن ٢٥٠ ق.ل — صدر حديثا

ولو أردنا ان نتقصى المقالات والبحوث التي عنيت باسرائيل خاصة والمنطقة عامة واستأثرت اسرائيل بقسط فيها لضقنا ذرعا بها ، ولالفينا هذا مطلبا لا قبل لفرد به ، مهما أوتي من صبر وجلد ، ولتبين لنا ان الصهيونية فعلت هذا كله عن قصد واكثرت من الكتب والبحوث والمقالات وغزت الاسواق واندست في كل وسيلة اعلامية لتطبق خطة تعمد الى « غسل الادمغة » كما قلنا ، والقضاء على كل ما عرف به العربي من فضيلة او شاع عنه من صفات. ولذلك لا يستغرب الذين عرفوا حقيقة السبل التي يركبها الصهاينة هذا الفيض الهائل بعد العدوان الآثم ولا يعتبرون — كما ذكر الاستاذ كنفاني — مصادفة مقالة كمقالة مجلة (تايم) الاميركية التي نشرتها بعددها الصادر في ١٤ تموز ١٩٦٧ وتجنت بها على العرب بما لا نعرف له مثيلا بين ما كتب عنهم او عن اية أمة اخرى في التاريخ . وأحسب ان الاستاذ كنفاني وضع يده على مثال صارخ لما وصلت اليه حملات التضليل الصهيونية في العالم ، وكنت اتمنى لو انه ترجم المقالة وصيرها ملحقا لكتابه ليقف عليها كل عربي . واعتقد بأن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية حريٌ بأن يخص هذه المقالة وما ينحو نحوها بدراسة مسهبة .

ان كتاب الاستاذ كنفاني يرسم اطارا شاملا للادب المتصهين ، وهو فريد بموضوعه وبما أدركه من براعة في سبر اغوار الصهيونية وابعادها ومراميها وتسخيرها الادب ليظل سلاحا بين أسلحتها الكثيرة التي حاربت العرب بها. ولا شك بأنه أسدى خدمة صادقة وكشف عن نواح خطيرة تحتم علينا ان نتدبرها ونتدارسها اذا ما أردنا ان نكون أكثر وضوحا في مناهجنا وأصدق فيما نقتفي لمجابهة الواقع .

ناصر الحاني

---

١ — « في الادب الصهيوني » تأليف غسان كنفاني : سلسلة دراسات فلسطينية التي تصدرها منظمة التحرير الفلسطينية — مركز الابحاث .

٢ — ول دورانت (بالانكليزية) : تاريخ الحضارة ٦ — ٧٢٠

٣ — المصدر ذاته ٦ / ٧٢١ — ٧٢٥ .

٤ — الموسوعة البريطانية : مارتن لوثر .

٥ — نشرت في الولايات المتحدة عام ١٩٦٣ وقد خصتها مجلة « الاقلام » البغدادية ببحث مسهب للدكتور جميل سعيد (أيلول ١٩٦٤).